المحاضرة الرابعة :

التأثيرالمبكر :

أصبحت البنائية مع ليفي ستروس في فرنسا بديلا للماركسية والظاهراتية (1950 وما بعدها) وهي أقل وضوحا في الأنثربولوجيا ..جلبت كتابا غير أنثربولوجيين مثل : رولان بارت – ميشيل فوكو – بيير بورديو ؛ لكن في النهاية تمردوا ضدها ؛ وهذا التمرد نوقش من علماء الأنثربولوجيا ...علق ليفي ستروس على القرابة لدى " الكاشن " وقد تعرف "ليش " على صحة استنتاجاته بالنسبة لبياناته التي عرضها ..أما "نيظام " فقد تعرض لنقد ليفي ستروس في نظريته حول القرابة (الطبيعة الأنجليزية)..

يركز البنائي على التبادل ؛ و بدا التحالف ليكون لديه طاقة كامنة ليحل هذه المشكلات ؛حيث خصص وزنا أكبر للعلاقات القرابية الفرعية بدلا من العلاقات المباشرة ؛ و من ثم اعتنقها علماء الأنثربولوجيا في مجتمعات بلا جماعات سالفة ؛ ويلاحظ نسب واضح وصريح وقد دافع " ليش" عن ستروس في مجلة الإنسان (1959) ؛ و درس ديومو الطائفة الهندية (هوموها براركيس) 1968 م والتي يعتبرها نسقا ثقافيا للتصنيف ...وقد شددعلى الفئات الهندية غير القابلة للتقليل غير ما أكده (بارت) ؛ فالفاعلون الإستراتيجيون سيقوا بنفس دوافع الأوروببين و لذلك شدد ديومو على تفرد الثقافة والقيم والعادات الهندية .

الدولة والفن :1968 م

كان عقد ندوة " الإنسان الصياد " توجها جديدا لتظهر قوة الأنثربولوجيا ذات التوجه الإيكولوجي ...بدءا من الأنثربولوجيا التأويلية إلى التوليدية (غيرتز_Geertz_) والدراسات الفلاحية في أمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبي Caraïbes(دوغلاس ؛ تيرنر) Douglas Turner...تطورت الانثربولوجيا الهولاندية و الإسكندنافية و الإيطالية والإسبانية بفعل الانتشار الجغرافي فقط واعتبرته جزءا من التيار الرئيسي (الأنجلوساكسوني – الفرنسي) وتأثرت الانثربولوجيات الداخلية في بعض بلدان امريكا اللاتينية (المكسيك –

البرازيل – الأرجنتين) بمدرسة بواس Boas وتلامذته وستيوارد Stiward؛ وبالانثربولوجيا الفرنسية التي ازدهرت وقامت ببحوث على الهنود الفلاحين .
بقي مجال العلم مركزيا رغم ظهور ليدن – بيركن وبقيت الآثار في جامعات أكسفورد وكمبردج – لندن ؛ مانشستر ....كان الانتشار الواسع في الولايات المتحدة ال عنامريكية حيث أن الإعداد أكبر ؛ دفعات بارزة في كولومبيا (ييل – هارفارد – بيركلي – ستان فورد – ميشينغان – و شيكاغو (الرائدة في هذا المجال) .
وفي فرنسا ظهرت معاهد نافذة .
توسعت مجالات البحث الإتنوغرافي في بريطانيا (1920-....) و (1930- ....) في المحيط الهادي وفي إفريقيا ؛أما الأنثربولوجيا الامريكية فقد اهتمت ببحوث حول امريكا الوسطى والجنوبية أكثر من الشمالية ..اما فرنسا ؛ فمنذ 1920 م فإنها اهتمت بإفريقيا والمحيط الهادي وقام بالاندي Balandier بتقوية الاتجاه الإفريقي (1967) أما ديومو مع طلبته فتوجهوا إلى دراسة شبه الجزيرة الهندية و الإقيانوسية ...وأراضي غانا الجديدة والتي كانت ميدانا خصبا البحث الإثنوغرافي ...(الجندر؛ الرعاية الاجتماعية ؛ التبادل؛ القرابة) إلا أن كل إقليم يواجه الإثنوغرافيين بأسئلة جديدة ..
العالم الثالث مصطلح اطلقه بيتر Peterو ورسلي wersley سنة 1964...أما في الفرنسية فكان له معنى مختلف في (1950 -...) بسبب شح الموارد الاقتصادية الكافية على صعيد المؤسسات الأكاديمية ...كما أرجات الصراعات الدولية والعداء نحو الأنثربولوجيا ..فأصبحت العلاقة مقطوعة بين المعاهد المتروبولوتانية Métropolitainesونظيراتها الاستعمارية ؛ ومع تفكك الاستعمار ومنع الجدار الحديدي الاتصال بين الشرق و الغرب أصبحت الأنثربولوجيا مجالا علميا " عولميا" ..وظهر أن العلماء الإسكندنافيين لن تقرأ اعمالهم خارج إسكندنافيا ؛ ما لم يختاروا النشر باللغة الأنجليزية ؛ وبدات بعض البوادر في تجديد

الانثربولوجيا في الالفية الثالثة (الجندر ؛ العرقية في المجتمعات المعقدة ؛ المواطنة ؛ أخلاقيات البحث الحقلي) .

المرجع : أركسون ؛ نيلسون: تاريخ النظرية الأنثربولوجية .. 2013

المحاضرة الخامسة : **الصيغة الرمزية .**

ما يعتبر في الثقافة الشعبية رموزا ؛ يعتبرها السميائي " إشارات " من نوع ما ؛ و لاتصنف تقنيا كرموز محضة ...إن ذكر التشابه في مثال معين (إيقون جزئي) ..(مثلا: خرطوم الماء -----» خرطوم الفيل) .

اللغة : منظومة إشارات رمزية بالدرجة الآولى ؛ غير أن دو سوسير De SAUSSURE؛ تحاشى اعتبار الإشارات اللسانية " رموزا"؛ لكي لا يختلط استخدامه المصطلح باستخدام المصطلح الشعبي له .

حتى الاستخدام الشعبي ليس اعتباطيا ؛ ولكنه على الأقل إرتباط طبيعي بين الدال والمدلول ؛ وهذه الصلة منطقية ؛ لكن الرياضيات تتسم بالرمزية الاعتباطية ؛ فهي منظومة علاقات ؛ وليس ليست اعتبارا من مدلولاتها (أفاهيم) موضوع جدال ..

ما يجعل الرمز "رمزا" هو – بشكل أساسي - ومن محض استعماله وفهمه على أنه كذلك ....الرمز :" إشارة اصطلاحية تعتمد على العادة المكتبة اوالفطرية " الكلمات والجمل والكتب والإشارات الاصطلاحية كلها رموز " (360.. 297... pierce؛) .

كلمة " رجل " ؛ لا تشبه الحروف الثلاثة الرجل بشيء ؛ كذلك الأمر بالنسبة للأصوات التي تمثلها الحروف " الرمز الأصيل هو ذلك الذي يمتلك معنى عاما فيدل على نوع شيء ؛ وليس على شيء بالتحديد .. (pierce 301.. 293...)؛

مثال تطبيقي : **الرموز المحلية .**

الرموز البربرية في المغرب لها الطابع الفردي الخاص ؛ حيث يخلي المربع والضامة (المربعات المتناسقة) و المعين ؛ امكنتها للدائرة الإسلامية ؛ الشكل الهندسي الاكثر حضورا في فني العمارة و الخط على حد سواء .

في الابنية الفخمة وعلى بسط الحرير التي تؤدي الاحترام الواجب لله على أشكال أخرى (أشكال الخزفيات القبلية المتواضعة ؛ والبسط الجبلية الصغيرة التي نجدها في الشاوية أو في جبال الأطلس ؛ في الجنوب يمارس

سكان ميزاب (الجزائرية) إسلاما زاهدا و مباشرا وإلى جنوب ميزاب ؛ حيث مناطق الشعانبة والطوارق التي خضعت لدراسات معمقة ..حيث تعرف جون غابوس على ثقافة الطوارق فيقول : " يبدو أن فن الطوارق الذي تأسلم هوأيضا لا يزال قريبا من التقاليد التي كانت سائدة بين الجماعة ما قبل – الإسلام على الأقل في روحانيته (...) غير أن الموضوعات التزيينية تبقي هندسية مع الضامة و المعينات والمثلثات المتساوية الأضلاع و رؤوس الحراب المنمنمة وصفحات القرآن و الصليب ؛ رموز الطوارق جزء من رموز الموريتانيين و يخلص إلى الفول : " يدافع الطوارق عن أنفسهم ضد العين الشريرة ؛ و يؤمنون بالقيمة الشفائية النحاس و العقيق الأحمر و بالتأثير السيء للحديد ؛ كما أن إيمانهم قوي بوجود شعوب جهنمية تسكن العدم والليل و الكثبان مثل : " كل إسوف " ؛ " كل إحود " ؛ " كل تينيريه" ؛ الذين يتقونهم بممارسة بعض الشعائر والتمائم و الزخارف الرمزية " .

الشعوب تتمتع بخبرة رمزية و بكونية بيانية خاصة (cosmographie؛) ويضاف إلى هذه الرموز الخاصة تأثير الحضارات التقليدية التي استمرت بعد التغلغل الإسلامي بها ؛ وهي الحضارة الإفريقية الأغنى بالرموز الأرضية والكونية ؛ والحضارة المصرية بحيواناتها الخرافية و برموزها الإلهية ؛ و إيمانها بالخلود ؛ بقرابينها و شعائرها ؛ حضارة ما بين النهرين بآلاف الطرق و الصيغ المميزة ...

يعتقد بعض الأفارقة بأنهم يملكون نرجعا مزدوجا الرموز (...) دون أن يناقض ذلك عقيدتهم الإسلامية ..فالرمز الإفريقي لا زال حيا في الأوساط الإسلامية ؛ فمثلا : تمبكتو ؛ ما زالت تحتفظ بهندستها و معمارها في المساجد و تحتفظ بالهوية الإفريقية السوداء (...) المثل الابرز" جامع ديجينيه " هو خير شاهد على الثنائية المنسجمة مع رموز الإسلام و العبقرية المحلية .

الرمز المحلي قد يكون " نوع

يا " او موضوعيا ..بدلا من أن يكون " جغرافيا " ؛ و إن الحروف المحلية تراكمت لديها خبرة تنطوي على معنى ؛ إلا إذا كانت هذه الخبرة هي التي تحرر المعنى : فسيفساء – زخرفة – مخطوطات – خط تدبيج – افاريز منقوشة – خزف – زخرفة جدارية – صياغة – نجارة- ترصيع – فضيات – فن الطلاء الخزفي – خلاصة القول ؛ أن كل شعب أو كل فئة عرقية بل كل مجموعة تبدو وكأنها متحف للرموز الحية التي صبغت على سندان الزمن ؛ ولن تتوصل جميع المؤلفات والدراسات حتى أكملها إلى تفسيرها تفسيرا وافيا.
مالك شبل : الرموز الإسلامية ص ص137- 139..

المحاضرة السادسة : **الشفرات الاجتماعية**

مدخل : يرى المنظرون ان الشفرات اللسانية تقوم بدور أساسي في تشييد و صيانة انواع الواقع الاجتماعي ....من أبرزهم عالمين ألسنيين إ. سابير E.Sapir؛ و ب. وورف B.Wohrf؛ واللذين يربطان بين الحتمية اللسانية و النسبية اللسانية . تقول الأطروحة الوورفية (نسبة إلى وورف) بان الناس الذين يتكلمون لغات مختلفة من حيث أدراك العالم والتفكير فيه ؛ بأن لغتهم هي التي تبلور منظورهم للعالم أو تحدده (whorf,,, Sapir 69 / .214-213؛).

لكن هذه النظرية واجهت نقدا موضوعيا ؛ لأنه لا يمكننا التوصل إلى استنتاجات بشأن الفروق بين رؤانا للعالم بالاستناد فقط إلى الفروق في البنية اللسانية ...حيث أن الفكرة الأكثر اعتدالا او تلك المحددة بأن الطرائق التي نرى بواسطتها العالم قد تتأثر باللغة المستخدمة للتدليل على ذلك ؛ وانه في الثقافة تكثر الشفرات الاجتماعية التي تحدد " التمايز الاجتماعي "(....) فنحن نعبر عن هوياتنا من خلال ما نقوم به من أعمال ؛ و طريقتنا في الحديث ؛ و ما نلبسه من ثياب وتصفيفنا لشعرنا ؛ وعاداتنا في المأكل ؛ و محيطنا المحلي ؛ وممتلكاتنا واستخدامنا لأوقات الفراغ ؛ و طرائق سفرنا ..وما إلى ذلك !

الاستخدام هو الواسم الأساسي لهويتنا الاجتماعية ؛ استحدث علم الاجتماع البريطاني Bernstein في ستينات القرن العشرين (1960..) " الشفرة المحدودة " ؛ و التي أحدثت جدلا مع " الشفرة المتقنة " في الاستخدام اللغوي البريطاني ...Bernstein 1990

الشفرة المحدودة : نستخدم في الاوضاع غير الرسمية ؛ و تتميز بالاعتماد على سياق المقام ؛ وعدم التنوع الاسلوبي ؛ والتشديد على إنتماءات المتكلم إلى " مجموعة " ؛ والبساطة النحوية ؛ وكثرة استخدام الإيماءات ؛ والسؤال الإثباتي (مثال : أليس كذلك ؟) .

الشفرة المتقنة : نستخدم في الاوضاع الرسمية ؛ وتتميز باعتماد أقل على السياق ؛ و بالتنوع الأسلوبي (البناء على المجهول) ؛ الزيادة في عدد الصفحات ؛ و التعقيد النسبي للنحو ؛ واستخدام ضمير المتكلم المفرد .

يرى Bernstein أن أبناء الطبقة الوسطى يطلعون على الشفرتين المذكورتين ؛ في حين يطلع أبناء الطبقة العاملة على الشفرة المحدودة! ينتقد الألسنيون أنفسهم هذا النوع من التمييز والتلازم بين اللغة و الطبقة الاجتماعية D.Crystal ; P : 40 .

لكن على الرغم من ذلك ؛ نستخدم روتينيا النوع المذكور من القرائن اللسانية أساسا للوصول إلى استنتاجات بشأن خلفية الناس الاجتماعية .

ليست الشفرات اللسانية هي المصدر الوحيد ملاحظة التمايز الاجتماعي ؛ إنما يشارك في ذلك حشد من الشفرات غيراللسانية ...

يتقدمها تلك التي تتولى " النظام الحسي " ؛ نوجد مثلا " شفرات بصرية " في سياقات ثقافية معينة ؛ غير ظاهرة تنظم كيفية توجيه أنظارهم بعضهم لبعض ؛ تتضمن طرائق تحريم النظر للآخر ؛ وعموما تزيد في شفافية هذه الشفرات حين يستخدمها المرء في محيطه الثقافي ...يتلقن الاولاد – في تنشئتهم الاجتماعية – النظر إلى محدثهم ؛ وعدم الحملقة تجاه الغرباء ؛ وعدم التحديق في أجزاء من الجسد : على الناس النظر إلى محدثهم ليبدوا مهذبين ؛ وعدم التحديق في من لا يجوز النظر إليهم ؛ و مراعاة المكان ..مثال ذلك : لا يجوز التحديق في المشوهين .

امثلة : في ليو luo؛ بكينيا لا يجوز للمرء أن يحدق في حماته ؛ و في نيجيريا لا يجوز له أن يحدق في أصحاب المقام الرفيع ؛ وعند بعض الهنود في أمريكا الجنوبية ؛ يجب ألا ينظر المرء إلى محدثه أثناء التحاور؛ و في اليابان لايحوز التحديق في الرقبة أو الوجه

وما إلى ذلك من أمثلة و نماذج (Argyle :p.95؛) .

في ثقافات الاحتكاك ؛ يعتبر التقليل من التحديق دليل على عدم الصدق والأمانة وقلة التهذيب ؛ وفي المقابل ؛ في ثقافات قلة الاحتكاك يعتبر كثرة التحديق – الحملقة – مخيفة و مهينة ودليل على قلة الاحترام (Argyle : p95؛) ...و ضمن حدود اصطلاحات ثقافية معينة ؛ يمكن اعتبار من يتحاشى نظرة الآخر : عصبي –

متوتر – متهرب – لا يثق بنفسه ؛ وفي المقابل يعتبر ودود و واثق بنفسه (Argyle .p : 93؛)...وقد تنتهك هذه الشفرات عن قصد ..في الولايات المتحدة خلال الستينات من القرن العشرين (...1960) استخدم الامريكيون البيض المتعصبون " حملقة الكراهية " الطويلة ضد السود ؛ بقصد التعرية النفسية للضحايا (غوفمان)Goffman 1969

لشفرات التحديق أهمية خاصة في التمايز الجنسي (ذكور – إناث) قالت إحدى النساء لصديقها : " احد الأشياء التي أحسد الرجال عليها فعلا ؛ هي حقهم في التحديق "...وأشارت أنه في الأماكن العامة : " يجوز للرجل أن ينظر بحرية إلى المرأة ؛ و لكن لا يجوز للمرأة أن تبادله النظر إلا خلسة " .

المحاضرة السابعة : تجربة المعنى ودلالاتها .

ما الذي نقصده بالمعنى ؟ وتجربة المعنى ؟ هل تعنى ذلك المعنى البسيط الذي نفسره بالكلمة او العبارة (في ميدان اللغة)؟ أم الامر يتعدى ذلك؟

إن الأنثروبولوجيا في نشأتها ترتكز أساسا على تجربة المعنى فإذا بحثنا في المجتمعات البدائية (تلك التي لها نمط طبيعي في الحياة) أو في المجتمعات الحديثة والمعاصرة (التي تتميز بحراك قوي ؛ ولها أساليبها في التغير الاجتماعي) ومن ثم نتصور اننا في حالة ازدواجية :

- 1/فهم هذه المجتمعات لنفسها، والمعاني التي تقدمها لقاء ذلك.
- 2/فهمنا لهذه المجتمعات ،أي تصورنا عنها من خلال تفسيرينا الخاص بها.

لقد أبدع علماء الأنثربولوجيا في توضيح وتتبع أساليب حياة المجتمعات البدائية (سموها :الراكدة) ،أي تلك التي تغير محيطها البيئي، لكنها لم تتغير وإنما بقيت على نمطها البدائي في ميداني السلوك والثقافة.

لكن علينا أن نتساءل :من أين أصدرنا حكمنا ؟هل عايشنا هاته المجتمعات البدائية، لكي نكشف شفرتها وبالتالي نصل الى المعنى؟ هل تصوراتنا حقيقية وواقعية،أم هو مخيالنا وثقافتنا هي التي توجهنا في معرفة هذه المجتمعات البدائية - كما سميناها -؟

عدد من العلماء في الأنثربولوجيا عايشوا هذه المجتمعات وكتبوا عنها بدءا بدوركايم Durkheimالى ليفي سيتروسLevi strussليفي بروهل-levi Bruhlومارسيل موسMarcel Mausوغيرهم ثم أيفونز بريتشاردE.Pritchard ورادكليف بروانRadcliff Brown ومرغريت ميدMargaret Mead وقريتز GeertzوتيلورTylor وشميدت Schmidtوغيرهم ،عاشوا داخل هذه المجتمعات رغم اختلافها عنهم بل إنهم تنازلوا عن حضارتهم وثقافتهم وقيمهم وأسلوب حياتهم ليكشفوا "المعنى "،بل اضطروا الزواج داخل هذه المجتمعات لاكتشاف ذهنيتها واستخدموا الملاحظة بالمشاركة فاندمجوا فيها وأعلنوا اكتشافهم للطوطم ودلالاته

،وأنساق القرابة التي تختلف عنهم وتميزهم عن غيرهم ولها دلالاتها الرمزية التي تختلف عن المجتمعات الأخرى (سواء المتحضرة منها ،أوالغريبة عنها)فمثلا في القرابة لا يعني الأب والام والخالة والعمة وأبناء العم وبنات العم وأبناء الخال وأبناء الخالة أو الجد أوالجدة نفس الدلالة والتصورات التي في أذهاننا .
أما السحر والطقوس فتختلف من مجتمع لآخر؛ فممارستهم السحر والدفن والمقبرة لها دلالات أخرى غير تلك التي نعيشها في مجتمعنا،وتختلف أيضا تصوراتنا ،ففي عطاء المعدمين للسيد عويس تتبين أن أنواع الدفن والمبتغى من الميت ليس كمثيله في الصين أو اليابان وإنما يختلف عن ذلك ونفس الامر بالنسبة للاعتقاد في الأولياء الصالحين المنتشر في شمال أفريقيا (من مصر إلى المغرب و موريتانيا) ومثله في المشرق العربي يختلف جذريا عن العقيدة البوذية في تكريم" الوسطاء" كما يعتقد بارسونز Parsnonsوماكس فيبر Max Weber "وليس ذلك بمثيله عند الشعوب الإفريقية سواء كانت مجتمعات انقسامية أو معزولة التي تختار "وسيطها "من خلال طقوس السحر و استحضار الأرواح سواء عند البول Peuls أو النويرNuers أو الابيلا A-Bela؛ أو غيرها...
نفس الامر يتعلق" بالجسد " في التقليد المغربي أو المشرقي أو مساءلة الباحثين الأنثروبولوجين عن فكرة الحداثة واللائكية التي بلغت أوجها لدى عدد من النساء اللائي يرون أن تحررهن يمر حتما عبر إستعمال أجسادهن ،بل في تحررهن الجنسي لاختيار الرجل المناسب لهن ،وكسر" الحديد" المكبل لهن في المرور حتما عبر العلاقات الشرعية ؟ إن استهلاك الثقافة الغربية بالنسبة لمجتمعاتنا والمجتعات المسماة بالتقايدية يتأتى عبر موجة وطوفان "العولمة " الذي يريد أن يماثل بين مجتمعات مختلفة في عاداتها وتقاليدها بالقضاء نهائيا على هويتها وكينونتها وذاتيتها في مجتمع كوني موحد ..... يفرض نمطه وهيمنته !
لذلك أصبح استنباط" المعنى "من الثقافة التقليدية يعطي تفسيرا لكينونة هذه المجتمعات وذاتيتها وأسلوبها في الحياة كعنصر للمقاومة في مواجهة هذا التنميط الثقافي /الحضاري الذي تسعى إليه الإمبراطورية المهيمنة في العالم(أمريكا) .

فنحن لايمكن أن نكون فرنسين او أمريكيين او صينين او يابانين ولو رغبنا او اردنا ذلك :على العكس من ذلك، نحن لا نطالب منهم أن يكونوا مثلنا في أسلوب حياتنا وقيمنا وتقاليدنا وذهنياتنا وغير ذلك.....يمكن للمجتمعات - حسب النظرية الانتشارية - أن تأخذ عن بعضها البعض بفعل التجاور والاحتكاك والتثاقف و أن تؤثر في غيرها ، لكن يشترط أن يكون ذلك بدافع "سلمي" أو "تفاعلي"، لا أن يكون الدافع من ذلك الهيمنة والسيطرة وإلغاء الآخر..هنا يكون المعنى "ذو دلالة" حيث ينسجم مع "روح المجتمع "وطببعته !

إن الصراع الدائر في العالم الحالي هو استمرار بقاء" المعنى" في صيرورته داخل كل مجتمع لضمان استقلاليته وتحرره وانعتاقه فالثقافة هي الأمر المتبقى، والرواسب الثقافية كما يسميها باريتو Paretoهي التي تبقى بعد أن يندثر كل شيء!